

تلقي السيميائيات في النقد العربي: جهود الترجمة والتنظير والتطبيق*

Semiology in Arabic criticism: efforts in translation, theory, and application

حسين خالفي¹

khalfi hocine

جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية (الجزائر)،

hocine.khalfi@univ-bejaia.dz

ملخص: نحاول في هذه الورقة تتبع تطور النقد السيميائي في النقد العربي عامة، والجزائري خاصة، حيث أن الملاحظ أن الجهود السيميائية الأولى بدأت تنتشر في البداية على المستوى المغاربي أولاً، وهذا في وقت مبكر بداية من ثمانينات القرن الماضي، قبل أن ينتشر عربياً، وقد حاولنا إبراز أكثر الإشكاليات التي أثرت في تلقي هذا المنهج النقدي على مستوى المصطلحات والمفاهيم. كما أبرزنا الجهود الترجمة والتنظيرية والتطبيقية الأولى لتبئة هذا المنهج في النقد العربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: علامة- منهج نسقي- سيميولوجيا وسيميوطيقا- سيميائية سردية- سيميائية تداولية.

Abstract:

This paper seeks to trace the development of semiotic criticism within Arabic literary criticism in general, and in Algeria in particular. It is worth noting that the earliest semiotic efforts first emerged in the Maghreb region during the early 1980s, before spreading to the wider Arab world. The study highlights the main issues raised in the reception of this critical approach, especially concerning terminology and conceptual frameworks. It also sheds light on the initial translational, theoretical, and applied efforts that aimed to naturalize and integrate this approach into contemporary Arabic literary criticism.

Keywords: sign, systemic approach, semiology and semiotics, narrative semiotics, pragmatic semiotics.

*

تاريخ النشر: 2025 / 10 / 15	تاريخ قبول البحث: 2025 / 10 / 01	تاريخ استلام البحث: 2025/09/10
-----------------------------	----------------------------------	--------------------------------

¹khalfi hocine :Email hocine.khalfi@univ-bejaia.dz _ ORCID ID : <https://orcid.org/0009-0004-2038-4280>

- **توطئة:** يشكل النقد السيميائي الذي لاحت بواذر ظهوره عند الغرب ابتداء من النصف الثاني من القرن العشرين، وانتقل إلى النقد العربي ابتداء من بداية ثمانينات القرن الماضي، جزءاً من منظومة المناهج النقدية أو النصية، التي وسمت النقد المعاصر وميزته بطابع خاص، يتجاوز منظومة المناهج النقدية السياقية التي ميزت النقد الحديث. ويذهب صلاح فضل في سياق شرحه للتحوّل من النقد الحديث إلى النقد المعاصر، إلى أن هذه المناهج السياقية قد تبلورت بتأثير من التيار الرومانسي ثم الواقعية، التي ظلت هي المسيطرة في الأدب كما في نقده، حتى مطلع القرن العشرين، عندما لاحت في الأفق بواذر علم آخر في الظهور، هو علم اللغة أو اللسانيات، الذي بدأ بالاستحواذ على معجم المصطلحات النقدية، وبدأت مفاهيمه تشيع في حقل الدراسات النقدية والأدبية، وبذلك تغير نسق المعرفة الأدبية فأعيد الاعتبار للنص باعتباره فعالية لغوية بالدرجة الأولى، لهذا فالولوج إليه يجب أن يكون عبر مستوياته اللغوية، وبالتالي فقد قامت اللغة بالدور الأكبر والأساسي المهيمن على ما سواها.¹ ويوضح صلاح فضل هذا التحوّل في النظرية النقدية عبر التحولات التاريخية للنظرية الأدبية، من خلال ثلاث مراحل أساسية، هي:

1- المرحلة التي شكلت فيها الفلسفة الوضعية مركز الثقل الموجه للنقد، وهي مرحلة هيمنة الرومانسية أدبياً،² وقد تم في هذه المرحلة استعارة النظريات العلمية والفلسفية، ومحاولة تطبيقها على المعرفة النقدية، وقد أستفيد من نظرية تطور الأنواع لشارل داروين، التي أفضت إلى منهج ذو طبيعة تاريخية وبيوغرافية، مثلته تصورات الثلاثي الفرنسي: هيبوليت تين (Hippolyte Taine) وسانت بيف (C-A Sainte-Beuve) وبرونتيير (Ferdinand Brunetiere)، وقد أوحى فكرة التطور الداروينية بالمنهج التاريخي، وكذا بالمنهج الاجتماعي بتأثير من الفلسفة الماركسية والمنهج النفسي بتأثير من علم النفس الفرويدي.

2- المرحلة الثانية هي عندما أصبح التاريخ موجهاً للنقد الأدبي ويحتل مركز الثقل فيه.³ والتي تخضت عن التصور اللانسوني (نسبة لغوستاف لانسون Gustave Lanson)، الذي اكتمل على يديه المنهج التاريخي الذي ينسب إليه عادة، وهو المنهج الذي عرف نهايته وأفوله مع تلميذ لانسون ريمون بيكار (Raymond Bécard) الذي دخل في نقاشات نقدية ومنهجية مع رولان بارث (Roland Barthes)، انتهت بتغليب كفة النقد الجديد الفرنسي، وخفوت منظومة المناهج السياقية، وقد اتخذ النقد الجديد مرجعيات جديدة غير المرجعية الوضعية والتاريخية، على رأسها المرجعية اللسانية.

3- تتمثل المرحلة الثالثة في انتقال اللغة لتصبح النموذج المهيمن على نظرية الأدب في هذا العصر،⁴ بالإضافة إلى هيمنة الشكلائية الروسية، المناهضة للنقد الاجتماعي للأدب، وكذا الشكلائية الأنجلو أمريكية أو النقد الجديد، المناهض للانطباعية والنقد التاريخي للأدب، وبحثهما في الشعرية والأدبية،

أي البحث في العناصر الداخلية للنص عما يميزها كنص أدبي أو شعري، والتي اتخذت كمرجعية أساسية للنقد البنيوي وما بعد البنيوي.

يذهب أحمد يوسف إلى أن هذا الانتقال قد أدى إلى استبدال القراءة السياقية ذات النزعة الوضعية والتاريخية بمختلف مشاربها كالمناهج الاجتماعي الذي أطرته الفلسفة الماركسية، والمنهج النفسي الذي أطره علم النفس الفرويدي.. وصولاً إلى منظومة المناهج النسقية التي أعلنت انسداد أنظمة القراءة السياقية وترهل مشروعها النقدي بسبب تغييبها المستمر للنص جراء تغييبها المستمر للنص، ومن أبرز الاتجاهات التي عملت على تقويض الوعي النقدي السياقي نذكر: تراث الشكلايين الروس، النقد الجديد الأنجلوسكسوني، البنيوية، الأسلوبية والسيميائية...⁵ تتفق هذه المناهج في أنها اعتمدت القراءة النسقية التي استبدلت الخارج (السياق) بالداخل (النسق)، واستبدلت الشروح التاريخية والنفسية والاجتماعية بالتحليل المحايث والآني للنص، والذي يعتمد على الهدنة أي تفكيك النص ومن ثم إعادة بنائه، كما استبدلت المعيارية بالوصفية، أي إنها لا تخضع النص لمعايير موجودة مسبقاً بل تخضع النص للتحليل الوصفي، وهو ما يفضي بها إلى نتائج نسبية وغير مطلقة، وبالتالي فقراءتها النقدية تعددية وليست واحدة أي إنها احتمال من بين عدة احتمالات أخرى.⁶

جدير بالإشارة إلى أن المفهوم المؤسس للأدب ونقده يختلف مناهجه هو النظرية أولاً والمنهج النقدي هو الذي يختبر توافق هذه النظرية مع مبادئها ويمارس فعاليتها ليم تداوله بعدها مع الواقع الإبداعي. بينما تمثل المنظومة الاصطلاحية الطرف الثالث في العملية المنهجية، فالنظرية والمنهج والمصطلح تمثل مجموع الأدوات التي يطبق بها المنهج النقدي، وهي خاضعة للتغيير من منهج لآخر.⁷ حيث يمكن الملاحظة بيسر كيف انتقلت المقاربات البنيوية إلى مصطلحي البنية والنسق، بعدما هيمن مصطلح الشعرية والأدبية في المقاربات الشكلائية، ومنها إلى مصطلح الأسلوب في الأسلوبية، ثم مصطلح العلامة في السيميائيات..

وفقاً لهذا الإطار العام سنحاول تتبع تطور المنهج السيميائي في النقد العربي عموماً، والنقد المغاربي بصفة خاصة، مع التنويه إلى أنه إذا كان النقد المشرقي مهيمناً على مناهج النقد الحديث، فإن مناهج النقد المعاصر عرفت لمسة مغاربية خاصة، ولعل المنهج الذي نال الاهتمام الأكبر على توجهات النقد المغاربي هو المنهج السيميائي، الذي بدأ التعريف به مغارياً واكتمل أيضاً مغارياً، على الرغم من الإشكاليات التي أثارها هذا المنهج في انتقاله من النقد الغربي إلى النقد العربي والمغاربي. وانطلاقاً من هذا نطرح الإشكالية الآتية: - كيف تم تلقّي النقد السيميائي عربياً ومغارياً؟ وما هي العوائق والإشكالات التي أثارها هذا التلقّي؟

سيكون هدفنا الأساسي في هذا المقال، هو محاولة ضبط بعض المفاهيم المفتاحية للمنهج السيميائي في أصوله الفلسفية الأولى، وبيان تطوره في المقاربات النقدية الغربية، قبل الانتقال إلى مستويات وآليات تلقيه في النقد العربي والمغاربي والجزائري ترجمة وتنظيراً وتطبيقاً.

1- مفهوم ومرجعيات النقد السيميائي: ظهرت السيميائية (Sémiotique, Sémiologie) خلال النصف الأول من القرن العشرين، وذلك بوصفها علماً شاملاً يدرس كيفية اشتغال الأنساق الدالة التي يستعملها الإنسان، والتي تطبع وجوده وفكره. ويشمل التفكير السيميائي بمعناه العام كل عملية تأمل للدلالة أو فحص أنماطها وشرح كيفية اشتغالها، من حيث شكلها وبنيتها أو من حيث إنتاجها واستعمالها وتوظيفها، وهذا ما يجعل السيمياء تضرب بجذورها في أقدم العصور، رغم أنها لم تتأسس كعلم للعلامات ولأنساق الدلالة إلا في القرن العشرين.⁸ وقد ارتبط ظهورها بمصادر تأسيسية أهمها:

- 1- فلسفة شارل سندر بيرس (Charles Sanders Peirce) السيميائية تداولية أو سيميائية المعنى، حيث وضع الأرضية المنهجية والمفاهيمية لعلم عام يدرس جميع أنواع العلامات.
- 1- اللسانيات البنيوية التي شيدها عالم اللغة فيرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) واضعاً نظرية لدراسة العلامات اللغوية، متصوراً إمكانية تأسيس علم عام يدرس جميع أنواع العلامات اللغوية وغير اللغوية، وتمثل اللسانيات أحد فروع المعرفة.
- 2- فلسفة الأشكال الرمزية للألماني إرنست كاسيرر (Ernst Cassirer)، الذي وضع تصورات عميقة وغنية حول الأنساق الرمزية التي يستعملها الإنسان ويعيش داخلها والتي تحدده بوصفه حيواناً رمزياً.

- 3- فلسفة اللغة والمنطق التي سادت في البحث الأكاديمي الأمريكي في منتصف القرن 20م، والتي تبلورت من تصورات المنطق الرمزي لمدرسة فيينا مع فريچ وكارناب... والتي تخضعت عن نظريات لسانية تداولية تقاطعت مع مفاهيم بورس لتعرف توسعاً مع شارل موريس، وأفضت إلى مبحث تداولي عام وشامل للعلامات.⁹

لقد فتحت هذه التصورات التأسيسية المجال أمام اجتهادات علمية مست ميادين متنوعة، وأدت إلى تشكل اتجاهات ومدارس سيميائية عديدة، منها سيميائية اللغة عند بينفنتست (Émile Benveniste) الذي استأنف المشروع السيميائي الذي تنبأ به دي سوسير وأوحى به لتلامذته ليكملوه. وسيميائية الشعر عند م. ريفاتير (Michael Riffaterre)، ومدرسة باريس السيميائية التي تخصصت في السرد الروائي والقصصي، وضمت الكثير من الباحثين على رأسهم أ.ج. غريماس (Algirdas Julien Greimas)، الذي استأنف مشروع الشكلافي الروسي فلاديمير بروب

(Vladimir Propp) وأعاد قراءة مورفولوجيا الحكاية الخرافية، وجوليا كريستيفا في السيميائية التحليلية، حيث اشتغلت على مسألة التناص التي انطلقت فيه من مفهوم الحوارية لباختين، لكن لم تكتف بربط التناص بالأيولوجيا والتحليل الاجتماعي بل نزلت فيه نزوعاً تحليلي نفسي. بالإضافة إلى سيمياء الدلالة لرولان بارث وأمبرتو إيكو...، وسمياء التواصل لبريتو وبولسنس... وسمياء براغ للمسرح... وكثرة الاتجاهات السيميائية دليل على ثراء وتشعب المعرفة السيميائية.

تعرف النقد العربي على المنهج السيميائي في منتصف الثمانينات، ترجمة وتأليفاً وتنظيراً وتطبيقاً، سواء ما تعلق بالسمياء العامة أو في السيميائيات الأدبية، رغم ما شكله هذا الفرع المعرفي من إشكاليات، نتيجة تداخل وتشابك التصورات والنظريات السيميائية بمشكلاتها البنيوية والتفكيكية، خاصة وأنها تتطرق كلها من الطبيعة اللغوية للنصوص. لهذا ركزت الجهود العربية في البداية على التعريف بالسمياء العامة واتجاهاتها، وكذا بسط نظريات وتصورات من سيمياء الأدب، ومن بين السيميائيين الأوائل نذكر: سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد ومحمد السريغيني ومبارك حنون وعادل فاخوري وسعيد بنكراد والسعيد بوطاجين وعبد القادر فيدوح ورشيد بن مالك وعبد الحميد بورايو... وقد تمكن هؤلاء من التعريف بالسيميائية وبمرجعياتها وخلفياتها التاريخية والنظرية، بالإضافة إلى محاولات التأصيل لها في التراث العربي، وكذا تطبيقها على النصوص الأدبية، خاصة في مجال السرد الروائي والقصصي.

2- إشكالية تلقي المصطلح والمفهوم في السيميائية العربية: لقد أثار تلقي النقد السيميائي في الأوساط النقدية العربية العديد من الإشكاليات المنهجية، المرتبطة بطبيعة المناهج الغربية الوافدة، وما يكتنفها من غموض والتباس، جراء غياب الإلمام بالخلفيات والمرجعيات الفلسفية والنظرية لهذا المنهج أو ذاك، وعادة ما تتحدد المفاهيم الجديدة في أي منهج أول ما تتحدد من خلال المصطلح باعتبارها مفاتيح العلوم ومفاتيح المناهج، لهذا فتلقاها السليم هو أول خطوات تلقي المفهوم.

يحيل المصطلح السيميائي العربي إلى مصطلحين غربيين، هما: السيميوطيقا (Sémiotique)، وهو مستعمل في الأوساط الانجليزية والأمريكية والروسية... والسيميولوجيا (Sémiologie) المستعمل في الأوساط الفرنسية والأوروبية، منذ أن أطلقه دي سوسير، رغم أن المنتمين للثقافة الفرنسية أنفسهم لم يبعدوا مصطلح سيميوطيقا بل استعملوه بالمعنى نفسه، حتى حينما تأسست الجمعية الدولية للسيميوطيقا في فرنسا سنة 1968، وقع اختيار المؤسسين على مصطلح سيميوطيقا نظراً لانتشاره في الثقافات الأخرى الروسية والانجلوسكسونية، وقد حدد غريماس الفارق الذي يميز بين المصطلحين أن السيميوطيقا يحيل إلى الفروع أي مختلف أنظمة العلامات، أما السيميولوجيا فينطبق على الهيكل النظري للعلم.¹⁰ لكن لا بد من الإشارة إلى أن المصطلحان مترادفان يعنيان: علم العلامات، أو

بالأحرى العلم الذي يدرس حياة العلامات. رغم أن تصورهما للعلامة مختلف، من حيث تحديد طبيعة العلامة إن كانت عامة، كما هي في تصور بيرس، أو مخصصة بالعلامة اللغوية، كما هي عند دي سوسير، وهذا ما يحدد طبيعتها من حيث الانفتاح أو الانغلاق، أي الطبيعة الثلاثية للعلامة، وإثبات السيرورة السيميائية لها، وهي عوامل تسمها بالانفتاح، في مقابل الطبيعة الثنائية، التي ميزت الدليل اللغوي السوسيري بالانغلاق.

لقد فتح هذا الزوج الاصطلاحي الباب واسعا أمام تلقّيها في النقد العربي، فقد تم تلقّيها بمصطلحات عربية عديدة، حيث أحصى يوسف وغليسي في كتابه: «مناهج النقد الأدبي»، أكثر من ست وثلاثين مصطلحا، وهو ما يدل على التخبط الاصطلاحي الذي لازم المنهج السيميائي، وخاصة في بدايات تلقّيه في النقد العربي، وهذا قبل أن يستقر النقد ويأنس بمصطلح السيمياء والسيميائيات، التي تحمل أبعادا وخلفيات تأصيلية، عرف مصطلحات عدة، ابتداء من المصطلحين المعربين: سيميوطيقا وسيميولوجيا، التي دعا بعض النقاد العرب مثل صلاح فضل لتبنيها بدل ترجمتها واشتقاق أسماء جديدة قد تؤدي إلى الخلط الاصطلاحي، الناجم عن عدم خضوع كلمة سيمياء للميزان الصرفي العربي، وخشية أن يفهم القارئ العربي من السيميائية شيئا متصلا بالفراصة أو يربطها بالسيمياء، وهي العلم الذي اقترن بالسحر والكيما في المعارف العربية، كما أن قرب النطق بين الكلمتين يجعلنا أقرب إلى قبول المصطلح الأجنبي دون أن ينبو عنه ذوق المستمع العربي. وقد وافقه في هذه الرؤية عبد الله الغدامي.¹¹

كما قوبل المصطلحان بمصطلحات مترجمة من قبيل: السمائية، علم العلامة، علم الدلالة، العلامية، الدلائلية، الأعراضية، علم الرموز، الإشارية.... مما يدل على التخبط الاصطلاحي في ترجمات النقاد العرب وغياب التنسيق بينهم. لكن هذا التخبط سرعان ما تراجع، وهذا بمجرد توضيح الرؤية الجديدة للمنهج، وتبلور مصطلح السيمياء، المستمد من التراث العربي نفسه، ليبقى المصطلح الأكثر توافقا واستعمالا في الأوساط النقدية، خاصة أن جهود التأصيل العربية أثبتت وجود واستعمال مصطلح السيمياء في الكتب التراثية فقد تحدث ابن سينا عن علم السيمياء، وهذا في سياق حديثه عن علم أسرار الحروف، وهو ما يجعل مصطلح السيميائية أنسب المصطلحات وأقربها للمفهوم، خاصة وأنه يمكن أن يستوعب كلا التصورين: السيميولوجي والسيميوطيقي، رغم بعض الاختلاف الموجود بينهما.

3- مفهوم السيميولوجيا: يرتبط مصطلح "السيميولوجيا" بإرث عالم اللسانيات دي سوسير، الذي أشار إلى هذا المجال في وقت مبكر من القرن الماضي في كتابه: دروس في اللسانيات العامة، يقول: «اللغة هي نسق (نظام) من العلامات تعبر عن الأفكار، وبالتالي فهي شبيهة بالكتابة، وأبجدية الصم والبكم، صيغ التحية والإشارات العسكرية... وغير ذلك. واللغة فقط هي أهم هذه الأنساق. يمكننا تصور علم

يدرس حياة العلامات داخل المجتمع (...) سنطلق عليه تسمية علم العلامات (...). بإمكانه أن يعرفنا بما تتشكل العلامات، والقوانين التي تتحكم فيها. وبما أنه لم يظهر حتى الآن، لا يمكننا القول كيف سيكون. لكنه يملك أحقية الوجود، فكأنته محددة مسبقا. اللسانيات ليست سوى جزء من هذا العلم العام، والقوانين التي ستكتشفها السيميولوجيا سوف تطبق على اللسانيات (...) ومهمة اللساني هي تحديد ما يجعل اللغة نظاما خاصا في كل الوقائع السيميولوجية».¹²

نشأت السيميائية إذن نشأة لسانية في أعمال ف. دي سوسير، كعلم عام تشتغل على: دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية. وهو بالتالي علم عام للعلامات جاء لدراسة أنظمة الدلالة اللفظية وغير اللفظية، وهو ما أوحى لخلفائه بأنه يؤسس نظرية علمية تبحث في الدلالة، التي استبعدتها في دراسته اللسانية، ولكن أشار إليها من خلال تلميحته بالدراسة السيميولوجية، فشككت منطلقا للاتجاهات السيميائية، كسيميائية التواصل والدلالة.. لقد كسر سوسير في لسانياته تقاليد الدراسة التاريخية للغة لينظر إليها في إطار مقارنة تزامنية باعتبارها نسقا (أو نظاما). كما قابل بين اللغة (النظام، الصيغة أو النموذج) بالكلام (الاستعمال، الظاهرة)، حيث نظر إلى اللغة كمجموعة من التعاقدات التي تستعملها الذات المتكلمة بهدف التواصل مع الآخرين عن طريق الخطاب (الكلام). وهو يتصور اللغة كنظام مستقل مبني، يتكون من مجموعة علاقات يمكن وصفها بطريقة مجردة، حيث العناصر غير مستقلة في الواقع في علاقتها بالكل. ومن خلال دراسة سوسير للغة أرسى منهجية ومقاربة "بنوية"، سوف تطبق في وقت لاحق على أنواع أخرى من الوقائع الاجتماعية والثقافية التي تمثل وقائعا لغوية. حيث أصبح مصطلح السيميائية يشير إلى تقليد حيوي في مختلف حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية.

توصف سيميولوجيا سوسير بالانغلاق، وهذا لعدة أسباب، أولها: لأن العلامة اللسانية تتكون من دال ومدلول، أي من صورة سمعية ومفهوم، والدال هو البصمة النفسية للصوت المادي، أما المدلول فهو عبارة عن فعل شعوري، نفسي ومجرد، ولا وجود لعلامة لسانية ما لم يجتمع الطرفان معا، فهما وجهان لعملة واحدة. العلاقة بين الدال والمدلول لا تقوم على المناسبة والمثابة، بل تقوم على الاعتبارية، فالدوال لا تحيل إلى مدلولاتها وفقا لاقتضاء طبيعي أو ضرورة منطقية، وإنما انطلاقا من اتفاق وتعاقد الجماعة اللغوية.¹³

تجدر الإشارة إلى أن مفهوم المرجع غائب في تصور دي سوسير، وقد أعاد بينفينست تقديمه، مشيرا في سياق ذلك إلى أن تغييب المرجع في تصوره هذا هو ما يفسر الارتباك حول مفهوم "اعتباطية" العلامة: «فهذه الاعتبارية تتحدد بالنظر إلى موضوع العلامة أي مرجعها، وليس في العلاقة بين: الدال / المدلول، حيث العلاقة "ضرورية"».¹⁴ أي إن العلاقة الاعتبارية تظهر في اتحاد وجهي العلامة اللغوية (الدال والمدلول) وإحالتهم على موضوع ما (مرجع العلامة).

يعود انغلاق السيميولوجيا أيضا إلى اقتصرها على سيميائية الكلمة دون الجملة، أي إنها لم تتعد حدود المعجم، في حين أن الجملة هي التي تحدد المرجع الحقيقي للكلمة، وقد وصفها ب.ريكور بأنها: "الأحادية السيميائية"، كما أنها تمثل في الأساس "علم دلالة الكلمة"، تتعارض مع اللسانيات التي تعترف بـ: «نوعين من الوحدات: وحدات الخطاب أو الجملة، ووحدات اللغة أو الكلمات».¹⁵

لكن تبقى الأهمية الكبرى للنسق اللساني السوسيري، تكمن بالدرجة الأولى في الإيحاء المؤسس والمعلن عن ظهور السيميولوجيا كعلم جديد، يحتفي بالعلامة اللغوية وغير لغوية، ليزيح مفهوم العلامة مفهوم البنية الذي ساد في التقاليد البنيوية، كما أراح مفهوم الشعرية ومفهوم الأسلوب ليتوج مفهوم الدليل والعلامة.

4- مفهوم السيميوطيقا: كان لوك أول من عرف السيميوطيقا سنة 1690 بأنها: «معرفة العلامات». لكن الظهور الكاشف للسيميوطيقا كان مع ش.س. بورس سنة 1914. حيث ارتبط اتجاه السيمياء التداولية أو سيمياء المعنى أو السيميوطيقا بالتقليد العلمي والفلسفي، الذي أرساه بورس أولا، ثم أعاد بلورته شارل موريس (Charles Morris) فيما بعد، كما يتعلق هذا الاتجاه أيضا مع تصورات المنطقة وفلاسفة اللغة، كارناب وفريج وفيغنشتاين وغيرهم. وتنتقل بنا سيمياء المعنى من نسق العلامة اللغوية إلى نسق العلامة ككل، ما يجعل هذا النسق يبدو أكثر ثراء وانفتاحا مقارنة بتصور دي سوسير، فهو يتميز بتصوره الشمولي والدينامي للعلامة، إذ يعد العلامة كيانا ثلاثيا وليس ثنائيا كما عند دي سوسير، تتفاعل داخله العناصر التركيبية والدلالية والتداولية، في إطار سيرورة دائمة تسمى السيميوزيس (Semiosis).¹⁶

يعرف بورس السيميوطيقا بأنها: «نظرية العلامات، أو النظرية العامة للتمثيل». والعلامة مفهوم أساسي في السيميائية، وهي تمثل شيئا آخر تستدعيه بوصفها بديلا لها، كما أنها شيء ما ينوب عن شيء آخر بالنسبة لشخص ما، من جهة ما وبصفة ما، فهي توجه لشخص ما، بمعنى أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة أو ربما أكثر تطورا، والعلامة التي تخلقها تسمى مفسرة أو مؤولا، والشيء الذي تنوب عنه العلامة هو الموضوع.¹⁷ وهذا يعني أن العلامة عند بورس ثلاثية ومنفتحة مقارنة بالعلامة اللغوية عند سوسير. وقد قدم بيرس نموذجا ثلاثيا لفروع السيمياء ومستويات التحليل فيها، وكذا مكونات العلامة وأنماطها المتعددة، وهذا ما يمكن تلخيصه في الجدول الآتي:

فروع السيمياء	مستويات التحليل	مكونات العلامة	أنماطها المتعددة
النحو الخالص	المستوى التركيبي	الممثل	1-علامة كيفية 2-علامة مفردة

3- علامة قانون			
1- الأيقون 2- المؤشر 3- الرمز	الموضوع	المستوى الدلالي	المنطق
1- خبرية 2- مقولة 3- حجة ¹⁸	المؤول	المستوى التداولي	البلاغة

يبدو النموذج البورسي موحيا وملهما، من خلال انفتاح نسقه الثلاثي، الذي تجاوز به بعض الأنساق السكونية الثابتة نحو الأنساق الدينامية المتحولة، عن طريق القول بالسيرورة السيميائية، كما أن حديثه عن المستويات الثلاثة للعلامة: التركيبي، الدلالي، والتداولي، وكذا حديثه عن فروع السيميائية الثلاثة: النحو، المنطق، والبلاغة، كلها أمور تجعلنا نصنفه ضمن أحد أكبر المهتمين باللسانيات والعلوم المجاورة لها كالبلاغة والتداولية، وهذا ما يمكن دعمه بما ذهبت إليهبويل ريبطوري (Joëlle Rethore) التي تقول إن: «الهدف الذي أصبو إليه (...) إنما الإشارة إلى أن: أفكار بورس هي تمهيد فعلي للتداولية، وعلى نطاق أوسع هو أحد رواد التصور اللساني الحديث، وتحديدًا في نظرية التسليم باللسانيات. سأكتفي في هذه المقالة بدراسة مساهمته في تكريس التوجه التداولي اللساني. ذلك أنه يعد ضحية ثقل سلطة خطاب بعض اللغويين، وبعضهم يطرح بوضوح كنفاد له مثل: (بينفينيست في كتابه: إشكاليات اللسانيات العامة) أو إما عن طريق تأويل مثير ولكنه خاطئ للأسف، مثل التأويل الذي أعطي من طرف (شارل موريس، على سبيل المثال)».¹⁹

يدل هذا على أن سيميوطيقا بورس وجهت وجهة تداولية، كما أنها وجهت نحو الأسلوبية وهذا ما يمكن ملاحظته عند هنريش بليث (Heinrich F. Plett) الذي استلهم في كتابه: «البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص»، المستويات الثلاثة من بيرس وشارل موريس، متجاوزا النظرة الأسلوبية البحتة إلى نظرة أسلوبية سيميائية، كفيلة ببناء أسلوبية تستوعب اجتهادات القدماء والمحدثين في مستويي البنية الداخلية للنص وأبعاده الدلالية والتداولية.²⁰ وقد شكل نموذج بليث نقطة التقاء بين السيميائية والأسلوبية والتداولية، وبينها وبين البلاغة، وهو لقاء طبيعي باعتبارها مستويات في سيمياء المعنى استطاع من خلاله بليث تجديد قراءته لقضايا البلاغة، وتحديدًا الصور. وهذا خير دليل على ثراء وانفتاح السيميائيات العامة، وخاصة السيميائية التداولية لبورس، الذي أعطى تصورا

عاما، يمكن استثماره في العديد من الخطابات والفروع المعرفية، لأنه استطاع أن يعمم مفهوم العلامة، وأن يصنفها ويحدد مستويات دراستها.

5- السيميائية في النقد تنظيرا، ترجمة، وتطبيقا: بإمكان الباحث أن يلاحظ توجه النقاد العرب نحو السيميائية ابتداء من منتصف الثمانينات، وتحديدًا سنة 1986 تاريخ صدور كتاب: «علم الدلالة عند العرب: دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة»، وهو ذو طابع تنظيري وتأسيلي، لم يتسن للنقاد اكتشاف أهميته آنذاك، بسبب عنوانه الذي أخفى السيميائية في العنوان الفرعي له، وتصدر علم الدلالة عنوانه الأساسي. لكن في الحقيقة فإن بدايات اكتشاف هذا الفرع المعرفي كان في المغرب الأقصى سنة 1984، عندما صدر كتاب: «البحث اللساني والسيميائي»²¹ وهو عبارة عن أعمال ندوة علمية في جامعة محمد الخامس، أيام: 7-8-9 ماي 1981، وهي الندوة الثالثة في البحث اللساني والسيميائي، وقد كانت الندوة الأولى سنة 1976، ما يعني أسبقية المغاربة إلى الاهتمام بالسيميائية، وتطور النقد السيميائي عموما والسيميائية السردية خاصة لديهم مقارنة بالمشاركة، رغم أن الأوراق البحثية المقدمة كانت في بدايات تلمسها للتحليل اللساني والسيميائي، إلا أنها شكلت نقطة انطلاق للعديد من الباحثين، مثل: الفهري والمتوكل والشاذلي.. وغيرهم ممن يمثلون الرعيل الأول من السيميائيين والتداوليين المغاربة. كما تم إصدار مجلة: «دراسات سيميائية: أدبية ولسانية»، في المغرب سنة 1987، ويبدو فيها البحث اللساني والسيميائي أكثر وضوحا. بالإضافة إلى ظهور مصنفان نظريان في نفس السنة 1987 يبرز الطابع الأكاديمي التعليمي من خلال عنوان كل منهما، وهما: «دروس في السيميائيات»²² لمبارك حنون و«محاضرات في السيميولوجيا»²³ لمحمد السريغيني، وقد لعب المصنفان دورا كبيرا في تعريف الناقد العربي بالنظريات السيميائية وبمختلف مؤسسيها عند الغرب، فقدم حنون في كتابه المفاهيم الأساسية للسيميائيات، واستعرض أهم اتجاهاتها، كالاتجاه السيميولوجي وسيميائيات الدلالة والتواصل، وخاض أيضا في مفاهيم وأدوات سيميوطيقا بورس، بالإضافة إلى خوضه في سيميوطيقا الثقافة المستفيدة من رمزية كاسيرر، كما أنه استعرض مجموعة مفاهيم من قبيل الدليل والتواصل والدلالة والبرجة والأنساق الدلالية، واستعرض إشكالية الدلالة والمرجع وتبنى حولها وجهة نظر سيميائيات الثقافة. أما كتاب محاضرات للسريغيني فهو عبارة عن محاضرات ألقاها على طلبته، توخى فيها التبسيط، وقسمه إلى قسمين: الأول نظري: تناول فيه الاتجاهات السيميائية. أما القسم الثاني فهو تطبيقي تناول فيه تحليل قصيدة المواكب لجبران، وقد تعمد فيه توسل أدوات ومفاهيم نحوية وبلاغية ودلالية عربية، بهدف تبسيط التحليل وتأسيس مفاهيم السيميائية.

أما في الترجمة فقد شهدت الساحة العربية سنة 1986 صدور مجموعة دراسات مشفوعة بترجمة لنصوص السيميائيين الغربيين، وهي على جانب كبير من الأهمية نظرا للفترة التي صدرت فيها، أي

فترة البدايات، وهي الدراسة الثاني الموسومة بـ: «مدخل إلى السيميوطيقا: مقالات مترجمة ودراسات»، إشراف: سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد،²⁴ وقد تناول الجزء الأول مجموعة من الدراسات حول مفاهيم السيميوطيقا بالإضافة إلى دراسة حول العلامات في التراث العربي، أما الجزء الثاني فهو ترجمة لمجموعة من المقالات التي تتناول أسس السيميوطيقا بين علم اللغة لسوسير وتصنيف العلامات عند بورس، والمقارنة بين النموذجين. ثم تطرق إلى السيميوطيقا والفروع المعرفية، مثل سيميوطيقا اللغة عند إميل بينفست ونعوم تشومسكي. سيميوطيقا الأدب: الشعر، المسرح، السينما والفن... وسيميوطيقا الثقافة ونظريات حول الدراسة السيميوطيقية للثقافات. وميزة هذا الكتاب الجماعي أنه شمل التعريف بالمصادر التأسيسية للسيميائيات كما اشتمل على كبرى الاتجاهات السيميائية، واعتمد على الترجمة والتنظير والتأصيل أيضا من خلال البحث عن مفهوم العلامة في التراث العربي. كما قامت المنظمة العربية للترجمة في بدايات الألفية الثالثة بترجمة مجموعة من المؤلفات السيميائية منها: «السيميائية وفلسفة اللغة» لأمبرتو إيكو،²⁵ وكتاب: «أسس السيميائية»، لدانيال تشاندلر.²⁶

أما مغاريا فقد شهدنا أولى الترجمات سنة 1987 بترجمة كتاب: «الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة»، لدسكال مارسلو، وقد قام بترجمته مجموعة من النقاد المغاربة هم: حميد لحمداني، محمد العمري، مبارك حنون، كما ترجم سعيد بنكراد كتاب: «التأويل بين السيميائية والتفكيكية»²⁷، لأمبرتو إيكو.

توالى بعدها الترجمات والمصنفات السيميائية في المغرب، خاصة في تسعينيات القرن الماضي وبداية الألفية الثالثة، وبدأت أكثر تحكما في المصطلحات والمفاهيم، التي لم تعد غريبة ولا إشكالية عند النقاد، ويمكن التمثيل لهذا المشروع السيميائي الكبير الذي كرسه الناقد المغربي سعيد بنكراد، الذي جسد من خلال نشاطه التألفي التنظيري والتطبيقي المشروع المغاربي للسيميائيات الذي انطلق ابتداء من الثمانينات، وهو شامل لأنه ألم بالاتجاهات السيميائية رغم تركيزه على السيميائيات السردية، إلا أن هذا لم يمنعه من الاشتغال على السيميائيات العامة، وقد بدأ مشروعه من خلال إصداره وإشرافه على مجلة: علامات، وهي مجلة تعنى بالسيميائيات والدراسات الأدبية الحديثة كما تعنى بالترجمة، وقد تأسست سنة 1994، ولا يزال إصدارها قائما إلى يومنا هذا، وقد لامس فيها المشرف أغلب الممارسات السيميائية من خلال اشتغال المجلة في مختلف أعدادها على عدة محاور. وقد تخصص هذا الباحث في السيميائيات السردية، ذلك لأنه درس على يد أعلام مدرسة باريس وعلى رأسهم أ.ج. غريماس، وهو التوجه الذي نستشفه من خلال معظم مؤلفاته، مثل كتاب: «النص السردى: نحو سيميائيات للايديولوجيا»²⁸ وكتاب: «السيميائية السردية: مدخل نظري»²⁹ وكتاب: «سيميولوجية الشخصيات الروائية: رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة نموذجاً»³⁰ بالإضافة إلى كتاب: «السيميائية: مفاهيمها

وتطبيقاتها»³¹ ويمكننا ملاحظة التوجه العام للباحث نحو السيميائية السردية تنظيراً وتطبيقاً، ولكن هذا لا يعني قصور مشروعه عن دراسة بقية الأنساق السيميائية الأخرى، وبالإمكان ملاحظة اشتغاله على سيميائيات بورس وهذا في كتابه: «السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش.س. بورس»³². كما يمكن إحصاء العديد من المؤلفات المغربية التي عنيت بالسيميائية وتطبيقاته المختلفة ومن بينها الدراسات التي كتبت باللغة الفرنسية مثل كتاب: «السيميائيات: نحو علم دلالة جديد للنص»، لمصطفى الشادلي،³³ الذي ترجمه محمد المعتصم. كما يمكن ذكر كتاب أحمد المتوكل الموسوم بـ: «réflexion sur la theorie de la signification dans la pensée linguistique arabe»³⁴ وهو عبارة عن دراسة أكاديمية أشرف عليها أ.ج. غريماس شخصياً، تمكن الباحث من خلالها مقارنة التفكير اللساني العربي بآليات السيميائية الحديثة، التي اقترحها غريماس في مختلف أبحاثه، ما يعني أن الباحث توجه في توجهها تأسيسياً في اشتغاله على مسائل المعنى في التراث اللغوي العربي، مبرزاً في هذا السياق الوجه الآخر للنظرية السيميائية لغريماس التي طالما حصرت في التطبيقات السردية، وكشف المتوكل عن بعد سيميائيات في نظرية غريماس، كثيراً ما غاب عن اعتبارات السيميائيين العرب، بسبب تحديد نظرتهم في نموذج السردية، رغم أن هذا النموذج نفسه يحمل أبعاداً تداولية، يمكن ملاحظتها خاصة في دراسته المكون السردية. لكن مع هذا فإن السيميائيات تداولية كانت حكراً على بورس دون غريماس، بينما عمد المتوكل للكشف عن البعد السيميائيات في نظرية غريماس. وهذا ما يمكن ملاحظته أيضاً في بعض المؤلفات المتأخرة، مثل كتاب: «السيميائية العامة وسيميائية الأدب» لعبد الواحد المرابط.

6- النقد السيميائي في الجزائر:

أ- السيميائيات السردية: إن أسبقية المغرب للتعريف والتنظير والترجمة لا يعني بقاءها حكراً على النقد المغربي دون النقد المغربي، ذلك أن هناك إسهامات جلية في النقد والفكر الجزائري، فقد برز العديد من النقاد السيميائيين الجزائريين منهم: عبد الحميد بورايو والسعيد بوطاجين وعبد القادر فيدوح ورشيد بن مالك وعبد المالك مرتاض وأحمد يوسف وآمنة بلعلي. وقد بلغ اهتمام هؤلاء بالسيميائية أن أسسوا كياناً أسموه: «رابطة السيميائيين الجزائريين» سنة 1998، يرأسها عبد الحميد بورايو، هدفها ترقية الممارسات السيميائية ونشرها وتوزيعها.³⁵ وقد تخصص بعضهم في دراسة الشعر سيميائياً مثل: عبد المالك مرتاض، لكن أغلبهم تخصص في السيميائية السردية باعتبار أن الكثير منهم قد تلمذ على يد أ.ج. غريماس من خلال البعثات العلمية، ومن بين هؤلاء نذكر رشيد بن مالك، الذي ألف عدة مصنفات في السيميائيات العامة والسردية، منها كتابه: «السيميائية: أصولها وقواعدها»³⁶ وقد جاء في قسمين: الأول هو دراسة حول السيميائيات والأدب، بحث فيه في جذور السيميائية القديمة عند الرواقين كأول من قال بأن العلامة هي: دال ومدلول. ثم تحدث عن العرب والسيميائية، وذكر ابن

سينا لعلم السيميا، قاصدا به علم أسرار الحروف. كما بين تأثير العرب بالمشائية والرواقية في علم الدلالة. ثم انتقل للتعريف بالسيميا المعاصرة، وكيف تأسست عند بيرس وسوسير، والتي طورت فأفرزت عدة اتجاهات منها:

- سيميائية التواصل، عند برييتو، مونان، مارتيني، وبويسنس... التي تركز على الجانب التواصل للعلامة، وهو تواصل مشروط بالقصدية ورغبة المتكلم في التأثير في المستمع.

- سيميائية الدلالة، التي عرفت عند ر. بارث، ومفادها أن اللغة لا تستنفذ التواصل، فنحن نتواصل توفرت القصدية أم لم تتوفر، بكل الأشياء الطبيعية والثقافية سواء كانت اعتباطية أم غير اعتباطية.

- سيميائية الثقافة، عند يوري لوتمان، أوسبنسكي، تودوروف... في روسيا وأ. إيكو وروسي لاندي في إيطاليا، وهو الاتجاه الذي يعتبر الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية. كما تناول سيميولوجيا اللغة عند بينفنست، وسيميولوجيا غريماس السردية، والسيميائية التحليلية لجوليا كريستيفا، وسيميائية الشعر لريفاتير..

أما القسم الثاني من الكتاب فهو عبارة عن ترجمة لنصوص مدرسة باريس السيميائية أي السيميائية السردية، فترجم مقال: «السيميائية الأدبية» لميشال أريفيه، ومقال: «السيميائية: نظرية لتحليل الخطاب»، لجون كلود جيرو ولوي بانييه. وكذا مقال: «التحليل السيميائي للخطاب: التشاكل والترابط بين التعبير والمضمون: الموكب الجنائزي»، لجوزيف كورتيس.

كما خص الناقد رشيد بن مالك السيميائية السردية بمؤلف خاص عنوانه: «مقدمة في السيميائية السردية»³⁷ قسمه إلى قسمين، الأول: نظري تناول فيه الأصول اللسانية والشكلانية للسيميائية السردية، أي إنها استمرارية للشكلانية والبنوية، واشتغال على مسألة الدلالة التي غابت في البحوث اللسانية. ثم تطرق إلى مبادئ التحليل السيميائي، وهي: المحايثة، التحليل البنيوي، الاختلاف، تحليل الخطاب، المربع السيميائي، الملفوظ السردية، والكفاءة والأداء. أما القسم الثاني للكتاب فهو تطبيقي، وفيه قراءة سيميائية في قصة عروس لغسان كنفاني. وتحليل سيميائي لقصة عائشة لأحمد رضا حوحو، وسيميائية الفضاء في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة.

كما ترجم بن مالك كتاب: «تاريخ السيميائية: مدرسة باريس»، لأن إينو.³⁸ قدمت فيه المؤلفات أهم المراحل التي مرت بها مدرسة باريس السيميائية، وترجم أيضا كتاب: «السيميائية: مدرسة باريس»، لجان كلود كوكي.³⁹ كما ترجم جمال حضري كتاب: «مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية»، لجوزيف كورتيس،⁴⁰ سنة 2007، وهو أحد أقطاب مدرسة باريس السيميائية السردية،

وهو كتاب على درجة من الأهمية في مجاله، استطاع المترجم أن يظهر تحكما كبيرا في المصطلحات السيميائية.

لقد استحوذت السيميائية السردية على اهتمام أغلب مؤلفات النقاد الجزائريين خاصة في تطبيقهم للنموذج النظري الذي اقترحه غريماس⁴¹ مثلهم في ذلك مثل نظرائهم المغاربة مع تنوع في المدونات السردية المطبق عليها، فقد استفاد عبد الحميد بورايو من ضلوعه في المقاربات الشكلانية والبنوية التي طبقها على القصص الشعبي، لينتقل بسلاسة إلى تطبيق آليات المنهج السيميائي السردية على قصص ألف ليلة وليلة، كما هو الأمر في كتابه التطبيقي الموسوم بـ: «التحليل السيميائي للخطاب السردية: دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة»⁴². أما الناقد السعيد بوطاجين فقد أسهم بكتاب تطبيقي أيضا هو: «الاشتغال العملي: دراسة سيميائية: غدا يوم جديد لابن هدوقة، عينة»⁴³، وهو عبارة عن دراسة لرواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة من منظور العامل السردية، استطاع من خلاله المؤلف تقريب مفهوم العامل السردية وتبسيطه للقارئ، خاصة وأن الدراسة يغلب فيها الطابع التطبيقي المبسط على الطابع النظري. كما يمكن ذكر دراسة على جانب من الأهمية في مجال السيميائية السردية، وهي: «تحليل الخطاب السردية في ضوء المنهج السيميائي» للباحثة نبيلة زويش، وهو عبارة عن دراسة سردية للمحمة غلامش، تناولت فيه تحليل الزمن والمكان والشخصيات في المحمة، راهنت فيه الباحثة على تجريب آليات التحليل السيميائي على السرد الملحمي، وهو رهان تطبيقي لا يخلو من الصعوبات، نظرا لأن التوجه العام للتطبيقات السيميائية، كانت تتجه صوب الحكايات الشعبية والقصص والروايات، وهذا ما وسم البحث بالجدة.

الحقيقة أن الدراسات في السيميائية السردية كثيرة جدا ولا يمكن الإحاطة بها كلها في هذا المقام، خاصة وأن هناك الكثير من الدراسات الأكاديمية التي طبقت هذا المنهج الذي عرف تشعبا في التنظير كما في التطبيق، خاصة في الجامعات الجزائرية والمغربية.

ب- السيميائيات العامة: يمكن ملاحظة توجه النقاد في الجزائر نحو السيميائيات العامة والسيميائية التداولية لبورس، التي تصلح لأن تشكل خلفية نظرية ومنهجية لمقاربة مختلف الأنساق الثقافية، ومختلف نصوصها، من خلال وضوح الاهتمام بها في مختلف المنابر العلمية، ابتداء من إدخالها في المقررات الدراسية كمادة علمية تدرس في أقسام اللغة العربية وآدابها، ابتداء من التسعينيات. بالإضافة إلى عقد مؤتمرات علمية حولها في الجامعات، مثل ملتقى جامعة عنابة للسيميائية سنة 1995، والذي تخض عنه كتاب المؤتمر الموسوم بـ: السيميائية والنص الأدبي، (أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، منشورات جامعة عنابة، 1995). وكذلك ملتقى جامعة بسكرة الدولي المتخصص أيضا في الدراسات السيميائية، ابتداء من سنة 2000، وقد عقد مؤتمره التاسع في نوفمبر 2017.

كما لعبت مخابر البحث الجامعي دورا في تطوير هذا الفرع المعرفي، خاصة من خلال نشر الأبحاث في مجالات متخصصة ومحكمة، منها مختبر: السيميائيات وتحليل الخطابات، في جامعة وهران، والذي يصدر مجلة: سيميائيات، والتي تعنى بالسيميائيات العامة كما بالسيمياء التداولية، وبالمقاربات السيميائية للنصوص المعاصرة والتراثية، كما تعنى بتحليل السرد كما الشعر، كما تخوض في المعارف القريبة مثل التداولية والبلاغة والفلسفة... وهو التوجه العام الذي حدده مؤسسوها، ومنهم أحمد يوسف، الذي ألف في النقد عموما، مثل كتابه الموسوم بـ: «القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة»، استعرض فيه مجمل المناهج السياقية، التي ظهرت جراء الانفجار البنيوي، مبرزا عدم صمودها بسبب اعتمادها التحليل المحايث. ولكن اهتمامه بالسيميائيات يبدو أكثر جلاء في كتابيه النظريين: «السيميائيات الواصفة: المنطق السيميائي وجبر العلامات»⁴⁴ و«الدلالات المفتوحة: مقارنة سيميائية في فلسفة المعنى»⁴⁵ وقد ناقش فيهما المؤلف العديد من المسائل المتعلقة بفلسفة العلامة، ابتداء من النسقية الأرسطية، التي تمثل المهاد الطبيعي لأي تصور فلسفي حول العلامة، وأبرز دور هذه النسقية في توجيه السيميائيات نحو المنطق والجبر ولغة الحساب، وهي المنطلقات نفسها التي انطلق منها بورس في مفهومه وتصنيفه للعلامات، ولهذا فقد انتقد أحمد يوسف التصور البورسي، الذي جعل من الإنسان مجرد علامة، كما أسلمته البنيوية للموت، ولهذا سقط التصور البورسي للعلامة وأصبح حادثا تاريخيا منسيا وممقوتا وحدث له مثل ما حدث لهيتافيزيقا. معنى هذا أن الناقد لم يتوقف على مجرد استعراض التصور البورسي، بل ناقش هذا التصور، وأثار إشكاليات جوهرية حوله، ما يدخله في مجال المحاورات الفلسفية، التي لا تفتأ تثير الإشكاليات، وبالتالي تفتح الأبواب للمراجعات الفكرية وللتجديد.

لا يتوقف هذا التوجه العام نحو التصور العلامي لبورس عند أحمد يوسف بل نجده أيضا في مؤلفات الباحث عبد القادر فهم الشيباني، صاحب كتاب: «معالم السيميائيات العامة: أسسها ومفاهيمها»⁴⁶ وهو كما يبدو في السيميائيات العامة، انتهج فيه المؤلف سبيل أحمد يوسف فناقش النسق اللساني للعلامة في الفصل الأول، ثم انتقل إلى منطق العلامة الثلاثية ونسقها المفتوح، وتطرق إلى العلامات البصرية كالتشكيل والايقونية.

لم يتوقف الاهتمام بالسيميائيات العامة عند هذا الحد، ولن تكتمل النمذجة، ما لم نشر إلى تجربة جد مهمة في ميدان السيميائيات وتحليل الخطاب، هي تجربة مخبر تحليل الخطاب في جامعة تيزي وزو، الذي أنشأته الناقدة الأكاديمية آمنة بلعلي بمعية مجموعة من الأساتذة والطلبة، ابتداء من سنة 2003، وهو متخصص في دراسات تحليل الخطاب، ويصدر مجلة: «الخطاب»، وهي مجلة نصف سنوية تعنى بمناهج تحليل الخطاب ككل: تنظيرا وتطبيقا وترجمة، وقد صدر خمس وعشرون عددا من هذه المجلة. ومن ضمن أهم الأهداف التي سطرتهام مديرة المخبر، وجسدت جزءا منه في أرض الواقع،

مشروعها في بعث الخطابات التراثية ومختلف قضاياها، عن طريق توسل مناهج تحليل الخطاب المعاصر، كالسيميائية والتداولية والتأويلية... وباعتبار أن هذه المناهج هي في واقع الأمر تنويعات وتفرعات من السيميائية التداولية التي أرساها بورس، فقد انصب اهتمام الناقدة على التنظير للسيميائيات التداولية من خلال العديد من المقالات العلمية التي نشرتها، مثل مقالها الموسوم بـ: «قراءة في سيميائية شارل ساندروس بورس» وكذلك مقال: «البحث السيميائي بوصفه فينومينولوجية معرفية».⁴⁷

لكن مشروعها في قراءة التراث قراءة سيميائية يبدو متجليا أكثر في كتابها الموسوم بـ: «سيمياء الأنساق: تشكلات المعنى في الخطابات التراثية»⁴⁸ وقد اتجهت فيه الناقدة توجهها مزدوجا: تحديتي وتأصيلي، كدأبها في أغلب مؤلفاتها، التي تحاول فيها الإجابة عن إشكالية وهاجس يسكنها ويهيمن على كتاباتها، ألا وهي كيف نقرأ التراث قراءات حديثة معاصرة؟ وكيف نقرأ التراث قراءة سيميائية؟ لهذا اعتمدت على التنظير السيميائي لبيرس كمنهج تحديتي وكآلية لمقاربة الخطابات التراثية كهدف تأصيلي. حيث تناولت موضوع الاستدلال بالعلامات في التراث العربي، وهو موضوع أثير في التراث وفي الممارسة السوسيوثقافية العربية، عرف عند البلاغيين أمثال الجاحظ والجرجاني والسكاكي، وكلهم أسهم وفق منظوره الخاص في دراسة العلامة وطرق الاستدلال عليها، كما عرف عند النحويين وعلماء الأصول، وقد انصببت جهود هؤلاء في تفسير وتأويل القرآن الكريم كعلامة نصية وحضارية استقطب جهود علماء التراث على اختلاف تخصصاتهم المعرفية. كما استقصت وأعطت قراءة خاصة للنحو كموضوع سيميائي يمثل الجانب التمثيلي للعلامية، بينما تمثل البلاغة جانبها الدلالي والاستعمالي التداولي. كما أفردت الناقدة جزءا من دراستها لدراسة المعنى الشعري وتشكله سيميائيا، وهو ما اختبرته في تصور حازم القرطاجني وبلاغته الشعرية عبر النظر في مسار تولد المعنى الشعري عنده. وتطرق في الأخير لموضوع الدلالة عند علماء الأصول، الذين نظروا - حسبها - للدلالة من منظور أشمل مقارنة بنظرة النحويين والبلاغيين، وقد شملت النظرة الأصولية المعنى النحوي والبلاغي والنقدي، مما ينم عن وعي سيميائي عميق منهم في معاينتهم لطرق اشتغال العلامة دلاليا. واختتمت الناقدة دراستها بخاتمة تقول إنها بمثابة المقدمة - على حد تعبيرها - إلى العرفانية الصوفية، ذلك أن الخطاب الصوفي يشكل مجالا خصبا للتفاعل الدلالي ولتشكل المعنى وعمقه، وهو تصور مفتوح على القراءة وقابل لاستئناف قراءته، وهو حكم وتصور عام نابع عن معرفة عميقة بطبيعة الخطاب الصوفي، حيث سبق للناقدة دراسة ومعالجة هذا الخطاب في كتابها: «تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج الحديثة»⁴⁹ وهو مرجع هام في التصوف كما في المناهج الحديثة أيضا، قدمت فيه الناقدة قراءة مختلفة للخطاب الصوفي، وفقا لما نتيحه آليات المناهج الحديثة، ومنها المنهج السيميائي التداولي، وما يمنحه أدوات إجرائية دلالية وتأويلية.

- خاتمة: مما لا شك فيه أن النقد وتحليل الخطاب السيميائي عرف ظهوره الأول مغارياً، وتطور أيضاً مغارياً، وهذا ما ترجمه كثرة المؤلفات التي عنيت بهذا المنهج، سواء عن طريق الترجمة المباشرة من مصادره الأصلية، أو من خلال حركية التأليف النظري النشطة التي نمت عن شغف معرفي عند النقّاد المغاربة، وفضول لاستكشاف هذا المنهج، قصد توسله في تطبيقاتهم على الخطابات الأدبية وغير الأدبية أيضاً، خاصة وأنه أظهر ثراء تجعله يتصدر نسقيات الفعل النقدي، فقد مثلت السيميائية امتداداً وتطوراً للنقد الشكلي والبنوي، كما حملت بذور علم الدلالة والتأويلية والتداولية... كما عرف لها امتدادات في الخطابات التراثية التي أبانت عن اهتمام مبكر بالعلامة والدلالة والاستدلال، سواء في خطابات علم اللغة كالنحو والبلاغة، أو في خطابات علم الكلام والأصول... كما شكلت السيميائية السردية ملاذاً منهجياً لقراءة القصة والرواية، وتبع منطق ونحو الحكي فيها لاستكناه دلالاتها، كما أظهر تجاوباً مع العديد من الأنماط السردية القديمة. بالإضافة إلى تطبيقاته على الخطاب الشعري، وكذا على مختلف الخطابات البصرية كالإشهار. كما أبرز عن إمكانية توسله في مختلف المقاربات الفلسفية.

- 1- ينظر صلاح فضل، في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007، ص: 10
- 2- المرجع نفسه، ص: 10
- 3- ينظر المرجع نفسه، ص: 10
- المرجع نفسه، ص: 104
- 5- ينظر أحمد يوسف، القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايطة، ط1، منشورات الاختلاف، 2007، الجزائر، ص: 30
- ينظر المرجع نفسه، ص: 306
- ينظر صلاح فضل، في النقد الأدبي، ص: 097
- 8- ينظر عبد الواحد المرباط، السيمياء العامة وسمياء الأدب: من أجل تصور شامل، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص: 07
- ينظر المرجع نفسه، صص: 7-9
- 10- يوسف وغيلسي، مناهج النقد الأدبي، ط3، منشورات جسور، الجزائر، 2010، ص: 100
- 11- ينظر عصام خلف، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة، مصر، 2003، ص: 21
- 12-Ferdinand de SAUSSURE, Cours de linguistique générale, Payot, 1916, p. 33-34
- 13- عبد الواحد المرباط، السيمياء العامة وسمياء الأدب، صص: 41-42.

- 14 -E. Benveniste, **Nature du signe linguistique, Problèmes de linguistique générale**, Gallimard, Paris, 2004, collection Tel., P : 49-55
- 15-P.Ricœur, **La Métaphore vive**, Seuil, Paris, 1975, Points Essais, 1997, P:130-133
- 16- عبد الواحد المرابط، **السيمياء العامة وسيمياء الأدب**، ط1، منشورات الاختلاف، 2010، الجزائر، ص:79
- المرجع نفسه، ص:8117
- المرجع نفسه، ص:84 18
- Joëlle Réthoré, «**La Pragmatique Linguistique De Peirce**», Études littéraires, vol. 21, 19 n°3, 1989, P: 49
- 20- هنريش بليث، **البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص**، تز: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص: 14
- 21- البحث اللساني والسيميائي، أعمال ندوة: جامعة محمد الخامس، أيام: 7-8-9 ماي 1981، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1984
- 22- مبارك خنون، **دروس في السيميائيات**، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987
- 23- محمد السرخيني، **محاضرات في السيميولوجيا**، ط1، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 1987
- 24- مجموعة مؤلفين، **مدخل إلى السيميوطيقا: مقالات مترجمة ودراسات**، إش: سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، دار إلياس العصرية، مصر، 1986
- 25- أ.ايكو، **السيميائية وفلسفة اللغة**، تز: أحمد الصمعي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005
- 26- دانيال تشاندلر، **أسس السيميائية**، تز: طلال وهبة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008
- 27- أ.ايكو، **التأويل بين السيميائية والتفكيكية**، تز: سعيد بركراد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000
- 28- سعيد بركراد، **النص السردي: نحو سيميائيات للايديولوجيا**، منشورات الأمان، الرباط، 1996
- 29- سعيد بركراد، **السيميائية السردية: مدخل نظري**، منشورات الزمان، الرباط، 2001
- 30- سعيد بركراد، **سيمولوجية الشخصيات الروائية: رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة نموذجاً**، منشورات مجدلاوي، عمان، 2003
- 31- سعيد بركراد، **السيميائية: مفاهيمها وتطبيقاتها**، منشورات الزمان، الرباط، 2003
- 32- سعيد بركراد، **السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش.س.بورس**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء
- 33- مصطفى الشاذلي، **السيميائيات: نحو علم دلالة جديد للنص**، تز: محمد المعتصم، ط1، دار رؤية للنشر، مصر، 2015
- 34 -Ahmed Moutaouakil , **réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe**, faculté des lettres et des sciences humaines, rabat, thèses et mémoiresn2
- يوسف وغليسي، **مناهج النقد الأدبي**، ص: 9835 -
- 36- ميشال أريفيه وآخرون، **السيميائية: أصولها وقواعدها**، تز: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002

- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، 37 -
- 38 - آن إينو، تاريخ السيميائية، تر: رشيد بن مالك، دار آفاق، الجزائر، 2004
- 39- جان كلود كوكي، السيميائية: مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر، الجزائر، 2003
- 40- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابي، تر: جمال حضري، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007
- 41- اقترح غريماس نموذجاً نظرياً وتطبيقياً لتحليل القصة العالمية هي قصة الصديقان لموبسان، استمدته من أبحاث الشكلايين الروس والبنويين، يقول: «إن عبقرية النظرية لا تعدو أن تكون شكلاً من أشكال الترميم، فقد أخذت شيئاً من ليفي ستراوس وأضفته إلى بروب»، كما أنه استوحى كلساني من دوميزيل وستراوس ومن يامسلاف، ومن نظرة دي سوسير إلى اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، ودرس اللغة بربطها بعلم النفس الاجتماعي مقدماً مصطلح السيميولوجيا.. (ينظر برونيون ماتن وفليز تاس رينجهام، معجم مصطلحات السيميوطيقا، تر: عابد خزندار، ط1، المركز القومي للترجمة، مصر، 2008، ص: 10-11)، وهو النموذج الذي نجده موضحاً في كتابه الموسوم بـ: «Maupassant, la sémiotique du texte, exercices pratique ,
- 42- عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردية: دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، دار الغرب، الجزائر، 2003
- 43- السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي: دراسة سيميائية: غدا يوم جديد لابن هذوقة، عينة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000
- 44- أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة: المنطق السيميائي وجبر العلامات، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005
- 45- أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة: مقارنة سيميائية في فلسفة المعنى، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005
- 46- عبد القادر فهم الشيباني، معالم السيميائيات العامة: أسسها ومفاهيمها، ط1، الجزائر، 2008
- 47- مجلة الآداب العالمية، العدد: 138 و139، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2009
- 48- آمنة بلعلي، سيمياء الأنساق: تشكلات المعنى في الخطابات التراثية، ط1، دار رؤية، مصر، 2015
- 49- آمنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج الحديثة، ط3، دار الأمل، ، تيزي وزو، 2009